BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

# منتدى الحوار

*Dialogue Forum*

*(DF)*

# تجربـــتي الروائيـــة

**جابر عصفور:**

يسعدني أن أقدم لكم الأستاذ إبراهيم عبد المجيد ليس بوصفه روائيـــاً متميزًا فحسب ولكن بوصفه صديقًا عزيزًا وأخًا حبيبـــًا، وهو أحد الكُتاب الذين أخلصوا في الكتابة لمدينة الإسكندرية، فكتب عنها كثيرا، وكان يبتعد عنها ليعود إليها مزودًا برؤية إبداعية وبحدس فني، ومن هنا استطاع أن يكتب مجموعة من الروايات المتميزة التي أصبح لها وزن في العالم كله وخصوصا بعد أن تمت ترجمتها إلى أكثر من لغة عالمية. وأنا شخصيـــاً أسعدني الحظ بأن درَّست روايته "البلدة الأخرى" في جامعة هارفارد وكانت مترجمة إلى اللغة الإنجليزية في مادة من مواد الأدب العربي بعنوان Arabic Literature & Translation، وكنت ألاحظ مدى الإعجاب الشديد بهذه الرواية عند الطلاب والطالبات الأجانب، وأظن أن التعليقات التي استمعت إليها عن رواية "البلدة الأخرى" أضافت الكثير إلى أفكاري النقدية حول هذه الرواية. والحقيقة، فإن الأستاذ إبراهيم عبد المجيد لا يتميز فقط بهذه الرواية، وإنما هناك عدد كبير من الروايات التي تجعله أبرز كُتاب السبعينيات، وهو لا ينتسب إلى الستينيات بالقطع كما أنه ليس حريصًا على هذا الانتساب، وأنا شخصيًّا بوصفي ناقدًا أعده أبرز كُتاب السبعينيات في مصر، وذلك بما أنجز إبداعيـــاً وما حققه فنيـــاً في رواياته التي تتميز بالعمق والشمول والقدرة على الغوص في النفس الإنسانية. وسوف يحدثنا اليوم عن العلاقة بين الإبداع والمكان، سيحدثنا عن مدينة الإسكندرية بوصفها منطلقـــاً لإبداعاته، وعن إبداعاته بوصفها مرايا متميزة لمدينة الإسكندرية، وكُلي ثقة أن هذا الحديث سوف يضيف إلى وعينا وعيـــاً مضافـــاً جديدًا بالإسكندرية.

**إبراهيم عبد المجيد:**

في الحقيقة، أحاول دومًا عند وجودي في الإسكندرية أن أنزع عن نفسي صفة الضيف لأنني في الأصل سكندري، وعلى الرغم من أنني أعيش في القاهرة منذ عام 1974، أي منذ أكثر من ثلاثين عامًا، فإنني ما زلت أعيش في القاهرة غريبًا، وقد كتبت عن الإسكندرية ثماني روايات منها: لا أحد ينام في الإسكندرية، طيور العنبر، بيت الياسمين وغيرها، وأخيرا أصدرت كتابـــاً بعنوان "غواية الإسكندرية – وما وراء الكتابة"، وقد

اخترت هذا العنوان بعد عنوان آخر هو "إغواء الإسكندرية"، إلا أنني وجدت أن كلمة "غواية" أدق على اعتبار أن المدينة أغوتني وأنا أغويت المدينة، بمعنى أنه تجمعنا حالة غواية متبادلة، ووجدته عنوانـــاً قد يكون صحيحـــاً إلى حد كبير.

وقد كتب الكثير من النقاد عن أعمالي التي تتحدث عن الإسكندرية، ورغم أنه لا تتوفر لدي مهارة النقد فإنني أستطيع أن أقول ببساطة أنني ابن المكان السكندري، بمعنى أن المكان السكندري يبعث على الثقة بالنفس والقوة، وقد سئلت ذات مرة في فرنسا في برنامج تليفزيوني وأنا مطل على المحيط الأطلسي في مدينة اسمها "لاروشيل" عن الفرق بين الإطلال على المحيط الأطلسي والإطلال على البحر المتوسط، فأجبت بأن المحيط الأطلسي يوحي بالغموض وإنني لا أعرف ما الذي سيأتي إليّ من وراء هذا المحيط؟ أما عند إطلالتي على البحر المتوسط في الإسكندرية تتقافز حولي الحضارات والثقافات، وأتذكر تاريخ الإسكندرية والبطالمة والرومان والإسكندر الأكبر وهيباتـــيا وسانت كاترين وعمرو بن العاص، وقد عاصرت الأنفاس الأخيرة للإسكندرية الكوزموبوليتانية وأنا طفل صغير، وعاصرت تواجد الأجانب بها، وكانت الإسكندرية مدينة عالمية كوزموبوليتانية متوسطية. ولذلك فإن الأطلال على المتوسط يمنح الإنسان ثقة بالنفس، وقد كانت عندي ثقة كبيرة بالنفس منذ أن انتقلت إلى القاهرة، وأذكر أنني كتبت ذات يوم أن كُتاب الإسكندرية هم فقط في القاهرة الذين لا يشكلون جماعة أدبية مع بعضهم البعض على عكس الكُتاب القادمين من الريف والذين يحافظون على علاقاتهم المتبادلة، ولا يفعل الكُتاب السكندريون ذلك كراهية في بعضهم البعض، ولكن لأن كلاً منهم يعتبر نفسه مدينة أو أمة في ذاته، فلا يكون بالتالي حريصًا على العلاقات مع مواطنيه من نفس المدينة.

إن القوة التي تعطيها مدينة الإسكندرية للكاتب تبعث قدرته على التجديد في الكتابة، والإسكندرية مدينة أقدم من القاهرة حيث يبلغ عمرها أكثر من ألفي عام بينما عمر القاهرة لا يزيد على ألف ومائتي عام، وعلى الرغم من ذلك تبدو القاهرة دومًا مدينة كلاسيكية بينما الإسكندرية تبدو كمدينة متحركة، ومن ينـــزل في محطة قطار سيدي جابر مثلا تعتريه الرغبة في أن يتحرك أما من ينـــزل في محطة قطار رمسيس فتعتريه الرغبة في العودة، ويفقد الرغبة في الحركة داخل القاهرة. فالقاهرة مدينة مغلقة على نفسها، أما الإسكندرية فإنها تعطي هذا الإحساس بالحرية، ونرى ذلك في أساليب الكتابة عن مدينة الإسكندرية حتى في أساليب الكتابة الغربية عنها، فعندما كتب عنها لورانس داريل، كتب عنها أولا كأديب بغض النظر عن النظرة الاستعمارية، فقد أبدع شكلا جديدًا في الرواية وهو شكل الرباعية، وعندما نقرأ شعر كفافيس الذي استلهم فيه الحضارة اليونانية، نجد أنه جدد في الشعر اليوناني نفسه ويشعر بذلك بعمق دارسو الأدب اليوناني، وعندما نقرأ لتسركس الكاتب اليوناني نجد أنه كتب ثلاثية تتضمن جزءًا عن الإسكندرية وجزءًا عن القاهرة وجزءًا عن القدس. وعندما نقرأ أدب نجيب محفوظ نجد أنه قبل روايته "اللص والكلاب" كان يصنَّف ككاتب كلاسيكي إذا لم ندرج روايته "أولاد حارتنا"، أما عندما كتب "اللص والكلاب" فإنه قد تأثر بحادثة سكندرية وهي قصة السفاح الشهير محمود أمين سليمان، وكانت هذه القصة هي الدافع الأساسي لنجيب محفوظ لكي يبدع روايته بعد أن أضاف إليها بُعدًا فلسفيـــاً، لكنها كانت بالفعل المرة الأولى في الرواية العربية التي نرى فيها تيار الشعور بهذا الشكل

المتقطع السريع والإيقاع الشعري واستخدام الجمل القصيرة وما نسميه بدايات الحداثة في الرواية المصرية، ونفس الأمر ينطبق على رواياته "الشحاذ" و"السمان والخريف" و"ميرامار"، فكأن الإسكندرية هي التي أعطت نجيب محفوظ نفحة التجديد والقدرة عليه.

وأعتقد أن هذه النفحة من المدينة قد أخذتها أنا أيضا، فقد ولدت في حي كرموز، وعشت طفولة جميلة على الرغم من أن أهلي كانوا بسطاء، لكننا كنا نعيش عيشة راضية، وقد أمضيت معظم حياتي في الإسكندرية في الشارع، فلم أعش في المنـــزل، وكانت هوايتي هي ارتياد دور السينما، فرأيت الإسكندرية من خلال السينما، وفي هذا الوقت كانت توجد دار سينما شعبية في كل حي شعبي، ومع مرور الزمن، أغلقت حوالي خمس وثلاثون دارا للسينما في المدينة آخرها سينما بلازا وسينما فؤاد منذ حوالي ثلاثة شهور وتحوَّلت إلى مسرح أفراح، وقد كتبت مقالا في هذا الصدد عنوانه "وداعا سينما بلازا .. وداعا سينما فؤاد"، على اعتبار أن دور السينما كانت تشكل جزءًا مهما في تكويني وأنا لا أزال تلميذا في المدرسة، ومثل جميع التلاميذ كنت يوم الإثنين في سينما الهمبرا ويوم الخميس في سينما بلازا، وكانت هذه مواعيد مقدسة بالنسبة لنا في الإسكندرية. وقد منحتني السينما شيئين هامين: أولا القدرة على التفكير بالصورة وثانيا عرفتني على الأدب العالمي، فقد عرفت الأدب العالمي أولا عن طريق الأفلام السينمائية وثانيا عن طريق القراءة، فكنت أدخل مثلا فيلم "الإخوة كرامازوف" أخرج من السينما باحثـــًا عن دوستويفسكي، وأدخل فيلم "موبي ديك" أخرج باحثـــًا عن هيرمان ميلفيل، وأدخل فيلم "ديفيد كوبرفيلد" أخرج من السينما باحثـــًا عن الرواية، وهكذا، كانت السينما زادًا هامًّا للغاية، وقد كنت في ذلك الوقت أعرف قليلا من الإنجليزية فكنت أبحث عن ترجمات هذه الأعمال التي أراها على الشاشة، وقد قضيت جزءًا كبيرا من عمري متنقلا بين الدرجة الثالثة والثانية والأولى في كل دور السينما، وقد اعتدت كل شهر أن أدخل سينما ريالتو بالذات لأنني كنت أحبها أكثر من غيرها وأحس بداخلها براحة أكبر، وأندهش الآن حين أتذكر فروق الأسعار، ففي هذا الوقت كنت أذهب إلي السينما وفي جيبي خمسة وعشرون قرشا أدفع منها تذكرة السينما وأخرج للعشاء وأشتري سجائر وتتبقى معي نقود إضافية لليوم التالي! إذن، فقد كانت السينما رافدًا هامًّا للغاية من روافد ثقافتي.

الرافد الثاني لثقافتي والذي اكتسبته أيضا من مدينة الإسكندرية أنني – كما قلت – مولود في كرموز، وكنت أرى النقل النهري نشيطًا وعامرًا في ترعة المحمودية، وقد انتهى النقل النهري في مصر الآن إذ حل محله النقل البري، وكانت المحمودية ترعة نظيفة بلا تلوث، وكانت بها رحلات في الفلائك ساعة العصاري على طول الترعة وعرضها، وفي سني الصغير، كان مرأى هذه الرحلات يفتح لي آفاقا بوجود عالم آخر غير الإسكندرية.

الرافد الثالث لثقافتي اكتسبته من والدي الذي كان يعمل في السكة الحديد، وكان يصطحبني معه في الصحراء الغربية لأرى مناطق غريبة يسكنها بدو، وكنت أرى محطات للسكة الحديد في قلب الصحراء يتوقف عندها القطار ليغادره شخص واحد يشق طريقه بمفرده إلى قلب الصحراء، وكنت أتساءل أين يذهب في هذه الصحراء الواسعة؟ ومن هنا تولـــَّد في نفسي إحساس بالمكان، وبأن المكان دومًا أكبر من طاقة الإنسان على استيعابه. وعندما كنت طفلاً، كنت أمارس هوايتي في صيد الأسماك في بحيرة مريوط، ثم في البحر عندما نضجت

حتى توقفت الآن للأسف، وأثناء صيدي في بحيرة مريوط، كانت تشغلني مشاهد الصيادين حيث كانوا يعملون على جسر يعلو البحيرة، وهذا الجسر أصبح الآن طريقا يسير عليه الناس، وتم ردم أجزاء من البحيرة التي تلوثت. لكن، كل ذلك كان عالمـــًا من الغرباء، سواء في الصحراء أو في ترعة المحمودية أو في بحيرة مريوط يقابله عالم ميدان المنشية، حيث الأنفاس الأخيرة للإسكندرية الكوزموبوليتانية حيث تواجد الصيارفة الأرمن واليونانيين والإيطاليين، وكان ميدان المنشية ميدانـــًا ذا لون أبيض يجلس أمام مقاهيه هؤلاء الصيارفة من كل جنس ولون، وكانت البورصة قائمة قبل أن تحترق بعد ذلك، وكان عالم الأجانب يشغلني من جانب آخر في مدينة معبقة بالعطر. ومن حسن حظي، أنني عندما التحقت بكلية الآداب انفصلت عن أهلي واستأجرت شقة مفروشة بمنطقة الشاطبي في شارع تانيس وذلك بالاشتراك مع أصدقائي، وخلال أربع سنوات قضيتها في الإسكندرية البحرية رأيت ملاهي الإسكندرية، وعاصرت إغلاقها وتحويلها إلى مقاهي، ورأيت بعد ذلك الإسكندرية تنطفئ ثقافيـــًا حيث توقفت العديد من المجلات عن الصدور، وأغلقت بعض النوادي، وانطفأت مظاهر اللهو والحياة البسيطة لتبدأ تتغير لتصبح إسكندرية مصرية ثم تتحول إلى ريفية شيئـــًا فشيئـــًا.

ومعنى هذا أن الروافد الأربعة التي ذكرتها: السينما، الخلاء الموجود في الصحراء وفي بحيرة مريوط، ترعة المحمودية وشمال الإسكندرية حيث الملاهي الليلية، والأنفاس الأخيرة للعالم الأجنبي، هذه الروافد هي التي كونت قدراتي الإبداعية. وقد منحتني منذ وقت مبكر الرغبة الدائمة في التفكير والتأمل، وقد درست بعد ذلك الفلسفة في كلية الآداب حتى أفهم ماذا يحدث في العالم وخصوصًا أنه كانت دائما تشغلني فكرة الإنسان الصغير جدًّا في هذا العالم الواسع الذي كنت أراه في الصحراء، وفكرة الزوال والتي رأيت عليها المدينة عندما زال منها طابعها الكوزموبوليتاني شيئا فشيئا. ومثل الجميع، تشاركت مع أبناء جيلي في بعض الهموم السياسية خصوصًا بعد هزيمة 1967، حيث وجدنا أننا بشكل أو بآخر ننتمي إلى بعض الجماعات الماركسية، وقد انتميت أنا شخصيـــًّا إلى إحدى هذه الجماعات والذي جندني فيها أحد قاطني حي كرموز كان من الماركسيين القدامى، وبدأت حياتي تأخذ منعطفـــًا سياسيـــًّا جديدًا.

وسافرت إلى القاهرة في مطلع السبعينيات، ولم تكن القاهرة مدينة أدب بل كانت مدينة سياسة، وكانت الصحف في هذا الوقت يقف صدورها والرئيس السادات يطارد الكُتاب، وانغمست على إثر ذلك في العمل السياسي السري والعلني لفترة أربع أو خمس سنوات، إلا أنني اكتشفت أن ذلك يُحدث نوعـــًا من التأثير الضار للكتابة الإبداعية بمعنى أن الكتابة ستتحول إلى هتاف أو إلى مواعظ، وتوصلت إلى فكرة أن هناك العشرات من الناس الذين يستطيعون العمل بالسياسة، لكن هناك عدد من الناس هم الذين حباهم الله بموهبة الكتابة أو الفن، وقد دفعني ذلك إلى الانسحاب بهدوء تام من حلبة السياسة لأكتب رواية "المسافات"، وتكمن أهمية هذه الرواية عندي في أنه إذا ما قورنت بالرواية السابقة عليها وهي "في الصيف السابع والستين"، سيتم اكتشاف الفرق بين الكاتب المنغمس في العمل السياسي وبين الكاتب الحر. ورواية "الصيف السابع والستين" تعتبر شهادة سياسية على هزيمة 1967، وهي تتميز بطريقة تسجيلية في الكتابة تشبه الكولاج، وهو ما لم أحبه في البداية، إلا أنني عدت إليه مرة أخرى بعد عشرين عاما بشكل مختلف، وقد رأيت أن طريقة الكولاج هذه بها صنعة أكثر ما بها

من فن إذ يتم وضع هذا المقطع من جريدة ويليه مقطع آخر من جريدة أخرى بحيث تُبنى مجموعة من الأفكار على أساس التوافق أو التضاد، وهذه الطريقة تتميز بالعقلانية الشديدة في حين أميل أنا إلى الكتابة بالقلب قبل العقل، فأقلعت في البداية عن الكتابة بهذه الطريقة وأقلعت كذلك عن ممارسة العمل السياسي، وعلى إثر ذلك، كتبت رواية "المسافات"، وعلى الرغم من أنني لم أطلق أسماء على أماكن حدوثها فإنني أؤكد أنها مستوحاة من منطقة المكس وبحيرة مريوط، وبعض النقاد اعتقدوا أن أحداثها تدور في الصحراء لأن هذه المنطقة كانت على تخوم الصحراء في ذلك الوقت، وتحكي الرواية قصة مجموعة من الناس يعيشون في مكان طاغٍ وظالم حيث البحيرة والصحراء ومحطة سكة حديد لا يأتي إليها القطار على الإطلاق سوى في نهاية الرواية، ويحدث بين هؤلاء الناس نوع من التمرد على قسوة المكان ويطيش هذا التمرد بحيث يخرج كل من الشخصيات في طريق مما يتسبب في حدوث نوع من الضياع لمعظم الشخصيات، ومن الممكن أن تكون هذه الرواية قد اصطبغت برؤية سوداوية إلى حد ما كنتاج عن العمل السياسي في الحياة المصرية، لكن اللغة في هذه الرواية كانت لغة حسية مختلفة و لم تكن لغة عقل، وعندما كتبت أول فصل من هذه الرواية أحسست بالسعادة لأنني أحسست أن ذلك إيذان بإقلاعي التام عن الحياة السياسية ولو روحيـــاً، وإن ظل إيماني بالماركسية والعدالة. بعد ذلك، ألفت رواية "صياد اليمام"، وهي رواية تكاد تكون قصيدة شعر عن رحلة جيلي كله، هذا الجيل الذي خرج في يوم من الأيام لاصطياد اليمام فلم يجد أي شيء، واليمام هنا يرمز إلى أشياء كثيرة، وتدور أحداث الرواية في يوم واحد هو يوم الرحلة في منطقة القباري، وكنت أذهب إلى منطقة القباري حيث كنت تلميذًا في مدرسة القباري الابتدائية، وكنت أرى النقل المحمَّل في عربات السكة الحديد من بصل وثوم وبلح وسوداني وغيرها ليتم إنزاله على أرصفة يعود عمرها إلى عصر إسماعيل باشا، وكنا ونحن تلاميذ نخزن السوداني والبلح في مخازن صنعناها تحت الأرض بأيدينا خشية تأخر القطار عن تموينا، وكنت أرى في هذه الأثناء صياد يمام رأيته وهو يصطادها فتمنيت أن يكون عندي بندقية مثله لأصطاد بها، لكن مع الزمن تحول اصطياد اليمام في ذهني إلى رمز للوصول إلى أي شيء، ومن هذا المنطلق ألفت روايتي "الصياد واليمام".

ألفت بعد ذلك روايتي "ليلة العشق والدم"، وهي رواية تدور أحداثها عند ترعة المحمودية في منطقة كرموز، وبعد ذلك ألفت ثلاث روايات بها جانب تراجيدي وتتحدث كلها عن منطقة جنوب الإسكندرية، وكانت شخصيات هذه الرواية شبه محبطة نتيجة لعدم وصولها بسهولة إلى ما تريد، وحتى في رواية "العشق والدم" أحد الشخصيات يقتل في سبيل الحصول على الخلاص بطريقة عشوائية، حتى أنني فكرت بعد هذه الروايات أن أتجه إلى الكتابة قليلاً في الجانب الكوميدي. ولا شك أن كل الروايات التي كنت قد كتبتها حتى هذه اللحظة كانت تتقصى حياتنا في فترة السبعينيات، وإن كنت لم أحدد فيها تواريخ ولا أزمان، إلا أن السبعينيات كانت تمثل انقلابـــاً روحيـــاً في حياة المصريين، فقد تغير كل شيء في حياتهم إلى شيء آخر، وتغيرت كل القيم الخاصة بالعروبة والاشتراكية إلى قيم أخرى واهتز المجتمع هزة خطيرة جدًّا، وبرزت فيه القيم الفردية في الانفتاح وفي غيره من الوجوه، ومن هذا المنطلق ألفت رواية بها جانب كوميدي هي "بيت الياسمين"، وهي تحكي قصة متعهد مظاهرات لتأييد السيد رئيس الجمهورية والذي كان في ذلك الوقت أنور السادات، ومنبع الكوميديا هي أن متعهد المظاهرات هذا يستطيع أن يجمع من هذا العمل في فترة عشر سنوات ما يكفي

لشراء شقة يتزوج فيها، وهي رواية تحكي عن ابن البلد الشاطر الخبيث وبها جانب كوميدي، وعلى الرغم من أن هذا الشخص غير منخرط فعليـــًا في السياسة فإنه يكتشف أنه متورط تمامًا في العمل السياسي، ويتم القبض عليه في مظاهرات 1977 على اعتبار أنه السبب في إشعال هذه المظاهرات، في حين أنه لا علاقة له بالموضوع أصلاً، ويبدأ من هنا التعرف على الحياة المصرية والقائمة على أسس غير قوية أو متينة، وبعد هذه الرواية توقفت عن الكتابة عن الإسكندرية حيث شعرت بعدها أنني لا أستطيع أن أكتب، وقد ساعدتني الظروف بأن سافرت إلى المملكة العربية السعودية لمدة أحد عشر شهرًا، أصبت خلالها بالاكتئاب و لم أستطع البقاء أكثر من هذه المدة، فأنا ابن المدينة ولست ابن الصحراء، صحيح أنني ذهبت إلى مناطق صحراوية إلا أن انتمائي للمدينة وليس للصحراء، فعدت بشكل نهائي بعد أحد عشر شهرًا بعد أن كنت قد جئت في زيارة إلى مصر في هذه الفترة حوالي ثلاث مرات، وعندما عدت ألفت روايتي "البلدة الأخرى"، وهي الرواية التي تقع في الجهة المقابلة لكل الروايات السابقة عليها، لأنها تتحدث عن المصريين في الغربة وغرباء العالم الثالث من هنود وتايلانديين والسيلانيين وغيرهم.

بعد ذلك، عاد الحنين ليشدني إلى المدينة الكوزموبوليتانية الإسكندرية التي تغيرت، وكما قلت أنني كنت قد رأيت المدينة تظلم شيئـــًا فشيئـــًا بإغلاق دور السينما وتحول الملاهي إلى صالات أفراح ومنع أي نوع من المتعة في المقاهي العامة ورحيل الأجانب، رأيت الريف وهو يهجم على المدينة، وقديمـــًا كان ساكنو الريف يزورون الإسكندرية ليتحولوا بعد ذلك إلى سكندريين رويدًا رويدًا، حتى أنني في رواية "صياد اليمام" أشرح هذا التدرج لصعيدي بسيط يأتي من أعماق بلدته ويتحضر شيئـــًا فشيئـــًا حتى تستوعبه المدينة. وقد حدث منذ السبعينيات هجوم ريفي على المدينة لم تستطع المدينة استيعابه، وبدأت العشوائيات على جنوب المدينة من العجمي وحتى أبي قير تمتلئ بذوي الأصول الريفية، وهؤلاء أهلنا ووالدي في الأصل رجل ريفي وكلنا مصريون، إلا أن المشكلة أن المدينة لم تعد قادرة على استيعاب هذه الهجرة، ووصل الأمر إلى أن أصبحت هذه المناطق عشوائيات، بل ومسماة على الأسماء الريفية، مثل نجع كذا وعزبة كذا، وظلت الأخلاق فيها مغلقة مثل أخلاق الريف، وليست في الواقع هذه هي الكارثة الحقيقية، ولكن الكارثة الحقيقية تكمن في هجرة بعض من هؤلاء وغيرهم إلى الخليج وعادوا ومعهم أموال كثيرة ومعها أفكار وهابية صحراوية اختلطت مع الأفكار الريفية فأصبحت المدينة خليطًا غير مفهوم. وقد كتبت مقالاً في جريدة "الفجر" منذ حوالي شهر عنوانه "المدينة التي كانت بيضاء"، وذلك بعد حادثة الهجوم على كنيسة محرم بك، وذلك لأنني لاحظت أن المدينة أصبحت عشوائية، وقد امتدت العشوائية من المباني إلى التصرفات والسلوك الذي لم يعد مصريًّا ولكنه وهابيّ وريفيّ وثقيل على المدينة، والمدينة عاجزة عن استيعابه. وأملي أن يتم إصلاح هذا مع الوقت ومع وجود مؤسسات ثقافية مثل مكتبة الإسكندرية وقصور الثقافة وغيرها، ولكن ما يحدث الآن أن المدينة الكوزموبوليتانية قد انتهت و لم يعد لها مكان إلا في الذاكرة، ومع ذلك لها غوايتها، والغواية الآن تأتي من التاريخ والحنين إلى المدينة القديمة، لذلك، فقد عدت إلى ذكرى المدينة القديمة التي رأيت رحيل أنفاسها، عدت إلى هذه الذكرى حزينـــًا مما يحدث من حولي سواء هنا في الإسكندرية أو في مصر على العموم، وأنفقت ست سنوات في دار الكتب لتخرج إلى النور رواية "لا أحد ينام في الإسكندرية"، وهي رواية تدور في فترة الحرب العالمية الثانية، وهي نفس الفترة

التي تدور فيها رباعية لورانس داريل عن الإسكندرية، لكنني كتبت عن المصريين ذاتهم بشكل أساسي ليس عن عناد مع داريل ولكن لأنني أعرف المصريين أكثر مما يعرفهم الأجانب، لذلك أحببت أن أكتب عما أعرفه أكثر مما أكتب عما يعرفه الآخرون. ولحسن الحظ، كان لهذه الرواية تأثير كبير للغاية، ففتحت شهيتي للكتابة عن الإسكندرية في منعطف تاريخي آخر، أحداث رواية "لا أحد ينام في الإسكندرية" تدور أثناء الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من أنني لم أعاصرها لأنني ولدت بعدها، إلا أن من يقرأ الصحف التي صدرت في هذه الفترة يعرف أن الحرب كانت فظيعة جدًّا، وكانت الإسكندرية هي المدينة التي تأثرت بالحرب، فقد حدث على القاهرة ثلاث غارات فقط وبورسعيد غارة واحدة، أما الإسكندرية فقد استمرت بها الغارات يوميـــًا تقريبـــًا من سبتمبر 1940 بعد أن كانت إيطاليا قد دخلت الحرب إلى جانب الألمان في يونية 1940، ولم تنقطع إلا مع معركة العلمين في أكتوبر 1942، وأول غارة حدثت في الإسكندرية كانت غارة الساعات الست الشهيرة التي يعرفها جيدًا العجائز من أهل المدينة، وحدثت في منطقة باب سدرة، وقد اكتشفت أثناء قراءتي أن هذه المنطقة منطقة شهداء، قريب منها كوم الشقافة حيث الآثار اليونانية الباقية من العصر البطلمي، وكذلك الآثار الرومانية الباقية من عهد الإمبراطور دقلديانوس الذي كان يعذب المصريين المسيحيين في ذلك الوقت ويضعهم في ساحة تشبه الملعب كانت موجودة في هذه المنطقة حيث يطلق عليهم الأسود لتفترسهم، ومن هذه المنطقة انطلق مسمى عصر الشهداء، وكانت بدايته وهو بداية التقويم القبطي هي السنة التي قتل فيها دقلديانوس ثمانين ألف سكندري حوالي سنة 284 ميلادية، لذلك نجد دومًا الفرق بين التقويم القبطي والتقويم الميلادي حوالي 280 سنة، إذن، كانت هذه المنطقة منطقة شهداء، وقد حدثت بها الكثير من الغارات وقت الحرب العالمية الثانية، كما أنها احتوت على طرائف عدة، مثل: وجود مدفع في منطقة كوم الشقافة لم يستطع الألمان أن يكسروه أبدا لكن استطاع الإنجليز أن يكسروه عام 1956 في أول غارة في هذا الوقت رأيتها بعيني ليلاً وكنت لا أزال طفلاً صغيرًا، وكان الإنجليز في الأساس هم الذين وضعوه على الطابية في منطقة كوم الشقافة، لذلك، هم الذين كانوا يعرفون نقطة الضعف التي يدمرونه منها. وقد حفزني كل ذلك على دراسة تاريخ مدينة الإسكندرية بشكل جيد جدا لأنني وجدت أن بها الكثير من الإمكانيات الإبداعية، وقد فتحت هذه الرواية شهيتي لأكتب ثانية عن الإسكندرية في منعطف تاريخي لاحق على تاريخ الحرب العالمية الثانية، أقصد بذلك الإسكندرية فيما بعد عام 1956 وخروج الأجانب منها والذي أعقب حرب السويس مباشرة حيث خرج الأجانب المقيمين من فرنسيين وإنجليز وغيرهم، كما خرج اليهود الذين كانوا وافدين مع بدايات القرن العشرين للعيش في مصر وكانوا قد تمصروا بالفعل، إلا أنهم خرجوا بعد دخول إسرائيل الحرب إذ حدث نوع من الكراهية لليهود وإشاعات عن التجسس بعضها كان حقيقيـــًّا وبعضها كان غير حقيقي، فحدث نوع من الجفاء بينهم وبين المجتمع مما أدى إلى مغادرتهم مصر. وأعقب خروج هؤلاء خروج اليونانيين والإيطاليين أيضا عام 1957، وهؤلاء خرجوا بعد موجة التمصير الذي سبقت موجة التأميم، إذ بدأت الدولة المصرية بالمشاركة في البنوك والشركات بنسبة 51%، وهذا معناه أن نسبة 51% هذه كانت تخص الأجانب قبل ذلك، وذلك لأن الاقتصاد السكندري كان اقتصادًا أجنبيـــًّا بالأساس مثله مثل الاقتصاد المصري، وكان تعداد مدينة الإسكندرية عام 1956 يبلغ خمسمائة ألف نسمة منهم ستون ألف أجنبيّ كانوا يملكون القوة الاقتصادية

الحقيقية للمدينة، ولم يكن السكندريون سعداء في ذلك الوقت بل كان معظمهم فقراء وتعساء، لكن كانت المدينة نفسها جميلة، إلا أن السكندريين ظلوا تعساء حتى بعد رحيل الأجانب لأن من أخذ مراكز الأجانب في الإسكندرية مصريون من الحكم الوطني استولوا على فيلاتهم وقصورهم، ودائما ما أكرر بأن ظلم ذوي القربى أشد. إذن، فقد غادرت كل الجاليات الأجنبية الإسكندرية ولم يتبقَّ منهم إلا أقل القليل هم الذين عاصروا التأميم وقد غادروا بدورهم بعد عام 1961، ومن هذا المنطلق ألفت رواية "طيور العنبر"، فقد كان المنعطف التاريخي الذي يشغلني هو كيف تحولت المدينة التاريخية من مدينة عالمية إلى مدينة محلية؟ وأتمنى أن أكتب جزءًا ثالثـــًا عن مدينة الإسكندرية يتحدث عن المدينة وهي تتحول إلى مدينة سعودية أو مدينة ريفية.

**جابر عصفور:**

كنت أتمنى أن يتحدث وأن يخرج الأستاذ إبراهيم عبد المجيد كل ما في جعبته من معلومات جميلة جدا يحسن دومًا تقديمها، كما أنه يقدم شهادة محزنة عن هذه المدينة التي كانت قلعة الاستنارة وقلعة التقدم ومنارة للإشعاعات الحضارية وكيف تحولت إلى هذا الشكل الذي يؤذينا ويزعجنا جميعـــًا، ولا يحتوي على أي قدر لا من التسامح ولا من الحضارة. وأنا متأكد أن الحاضرين قد تأثروا بشهادة الأستاذ إبراهيم عبد المجيد عن مدينة الإسكندرية وعلاقته الأدبية بها.

**كمال إسحاق (مهندس معماري وكاتب في مجلة المجتمع الكنسي):**

عندي سؤالان، أولاً أسأل الأستاذ إبراهيم عبد المجيد ما الداعي لممارسته نشاطـــًا سياسيـــًّا سريـــًّا إذا كان في مقدرته – كما ذكر – أن يمارسه علنيـــًّا؟ أم أن كونه كان مؤمنـــًا بالمبادئ الاشتراكية والماركسية خلق نوعـــًا من الحظر والقيود على تصرفاته؟

ثانيا، تنقل الأستاذ إبراهيم عبد المجيد كثيرًا بين حالات مختلفة عن بعضها، فمن العمل السياسي السري إلى العمل السياسي العلني إلى السفر إلى غير ذلك، مما يساعد على بناء شخصية الكاتب، ويدفعني هذا إلى أن أسأل ما توجيهات الأستاذ إبراهيم عبد المجيد لكاتب مبتدئ مثلي وما الواجب عليه فعله في ظل هذه الظروف المأساوية للمجتمع التي عرضنا بعضها اليوم وذلك حتى يتقدم في مجال الكتابة.

**جابر عصفور:**

لفت انتباهي إشارة الأستاذ إبراهيم عبد المجيد إلى أنه عندما كتب رواية "لا أحد ينام في الإسكندرية" كان في ذهنه بشكل من الأشكال رباعية الإسكندرية للورانس داريل، وأتمنى أن يفيض قليلاً في هذا الجانب بمعنى أن يشرح لنا ما الذي كان يبتغيه بالضبط؟ هل كان يريد أن يعارض لورانس داريل في ما كتبه أم كان يريد أن يكتب صياغة مصرية لهذه الفترة التاريخية؟ لذلك أرجو أن يتفضل بتوضيح هذا الجانب أكثر.

**إبراهيم عبد المجيد:**

فيما يخص المهندس كمال إسحاق، أجيب عن سؤاله الأول الخاص بالعمل السياسي السري والعلني بقولي أنه في فترة السبعينيات كانت توجد حركات يسارية كثيرة في مصر، كما أنه كانت هناك الكثير من الأحزاب السرية في مصر. وعندما كنا في الجامعة، لم يكن هناك من يستقطبنا من اليمين، أما الآن فهناك الكثير من الحركات الأصولية وكان المسألة قد انقلبت، وقد كنت مقتنعًا بهذه الأفكار ومازلت مقتنعًا بالقيم الكبرى لها لكنني أصبحت غير مقتنعًا بالعمل ذاته، ووجدت أنه من المفيد أن أكتب أدبـــًا أفضل بكثير من أن أعمل في السياسة وذلك لأن قدراتي لا تسمح بأكثر من ذلك. والأغلبية العظمى من الكُتاب في مصر مروا على التنظيمات اليسارية والشيوعية في مصر، لكن القليل هم الذين صمدوا وواصلوا عضويتهم في هذه التنظيمات، وهذا ليس عيبـــًا في التنظيمات ذاتها ولكنها عادة الكُتاب الذين لا يثبتون أبدًا على أمر واحد، وكل كاتب من وقت لآخر يغير من أفكاره، بل إنه يغير حتى المكان الذي اعتاد أن يجلس فيه أو المقهى الذي اعتاد ارتياده.

أما بالنسبة لرباعية الإسكندرية ولورانس داريل، في الحقيقة، لم يكن في ذهني معارضته تمامًا ولا موافقته تمامًا، لكن كان في ذهني بالأساس أن أكتب عن مدينة بها هذا الجو من التسامح المفتقَد والاعتراف بالآخر، وعندما قرأت الرباعية وجدت أنها تبدأ مع الحرب العالمية الثانية وتنتهي مع معركة العلمين، وقد أعجبتني شخصياتها ولغتها وشاعريتها، إلا أنني عندما شرعت في كتابة "لا أحد ينام في الإسكندرية"، كتبت جرحي أنا حول التسامح المفتقَد، فقد ولدت وعشت طفولتي – كما قلت – في كرموز وغيط العنب وهذه المناطق وغيرها بها العديد من الكنائس ويختلط بها المسيحيون مع المسلمين في نسيج واحد، وأنا شخصيـــًا لي الكثير من الأصدقاء المسيحيين، فلم يكن هناك أبدًا من يجرؤ أن يفصل المسلم عن المسيحي في فصلين في المدرسة مثلا إلا في حصة الدين، فلم تكن هناك أبدًا هذه العنصرية التي نراها هذه الأيام وكلها نزعات وفدت إلينا من الصحراء العربية. إذن، ومن وحي افتقادي لهذا التسامح، قررت أن أعود في روايتي إلى زمن به تسامح، واخترت أصعب فترة وهي الحرب العالمية الثانية، والذين عاصروا هذه الفترة يكرهونها للغاية لأنه كان زمنـــًا صعبـــًا فقد كان به –كما قلت- غارات وقتلى، وكانت مدرسة دون بوسكو مستشفى كما كانت أيضا مدرسة رأس التين مستشفى وغيرها، وكانت هناك غارات عنيفة جدًّا تحدث، وفي شارع الرحمة الموجود خلف مقابر عامود السواري حدثت غارة في مساء يوم ما، وفي مساء هذا اليوم كان الشارع مفروشًا بالكامل بجثث القتلى، وكانت الجثث تطفو ليلا على ترعة المحمودية التي كان يتم تدمير الفلائك العائمة على سطحها، وكانت غارات الألمان بالذات في منتهى العنف خصوصًا بعد قيادة روميل من الصحراء الغربية، وكان ذلك مختلفًا عن غارات الطليان التي كانت تتميز بأنها كانت أخف حدة وأقل في عدد الضحايا الناجمة عنها. وفي ظل هذه الظروف، لم يكن هناك أي فرق بين المسلمين والأقباط، فقد كانوا في الهم سواء، وكانوا يعيشون معا في ظل هذه الأهوال، ولن أقول إن هذه الأهوال كانت تقرب بينهم، فقد كانوا قريبين من بعضهم البعض ومتعاونين ومتحابين من قبل هذه الأهوال كلها، وفي المخبأ هربـــًا من الغارات، كان المسلم يلجأ إلى القرآن والمسيحي يلجأ إلى إنجيله وتتداخل الأصوات الداعية إلى الله تعالى المحتمية به حتى أن الأصوات تختلط لدرجة أن يتخيل المستمع أن النص واحد والحالة الروحية واحدة. فرواية "لا أحد ينام في الإسكندرية" رواية عن الحب الذي يستوعب الاختلافات

العقائدية وعن التسامح بين البشر، وقد كتبتها تحت شعوري المعاصر بافتقاد هذا التسامح كما قلت، وكان لورانس داريل بالنسبة لي مثالاً لم أحتذيه، فهو قد كتب عن الإسكندرية الأجنبية التي يعرفها وعن المصريين الذين لم يعرفهم، أما أنا فرفضت الكتابة عن الأجانب لأنني لم أعرفهم بشكل جيد إلا في مرحلة متأخرة من الكتابة عندما ألفت رواية "طيور العنبر"، و لم أكتب عنهم إلا بعد دراسة متأنية وقراءات كثيرة. فهذه هي الروح التي سيطرت عليّ وأنا أكتب "لا أحد ينام في الإسكندرية" والتي عدت فيها إلى طريقة التسجيل الذي لم أكن قد أحببته في بداية عهدي بالكتابة الروائية، إلا أنني عدت إليه بشكل مختلف، فكنت أكتب خبرًا عن هتلر ثم أعقبه بخبر عن بيت دعارة في الإسكندرية ثم خبر عن تشرشل وبعده خبر عن حلاق شهير ... إلخ، بحيث تنعكس الحركة الموجودة في الحياة نفسها في ذلك الوقت. وقد قرأت من الوثائق ما أدهشني عما كان يحدث في ذلك الوقت، فقد تم توزيع أقنعة واقية من الغازات السامة على الأهالي لوقايتهم من الغازات، فكان الفرانون يستخدمونها وهم واقفون لعملهم أمام الأفران وكان الشباب يلبسونها لمعاكسة الفتيات في ظلام الطريق وكان بائعو الطعمية يلبسونها وهم يقومون بقليها في الزيت، وقد كان ذلك استخدام مصري تمامًا لهذه الأقنعة الواقية من الغازات، وهذا ما جعلني أستنبط طرائف كثيرة للمصريين كانت تحت هذا الضغط الهائل عليهم من الحرب العالمية الثانية، والرواية، تحض على التسامح، وهي رواية مصرية وليست رواية ذات طابع أجنبي، وهذا يختلف كما قلت عن الطابع الذي كتب به لورانس داريل روايته، وكان هدفي أن أبرز المصريين بوجه خاص، أما الأجانب في الرواية فهم الجيوش الأجنبية فقط والتي أبرز من خلالها حركة الحرب نفسها.

**محمد الفخراني (روائـــي سكندري):**

لقد اعتدنا من الأستاذ إبراهيم عبد المجيد أنه مُقل في حديثه عن الرواية بالذات، وكنا متشوقين كثيرًا لمعرفة المزيد عن ما يكتبه، وقد نشأت في الأماكن نفسها التي نشأ فيها، وأشهد أنني في الحي نفسه وعلى أحد المقاهي التي كان يرتادها حتمًا وهو شاب وهي قهوة "أنور" وأنور هذا كان يتميز بهيئة غريبة ومازال يدير أحفاده يديرون المقهى نفسه حتى الآن. وقد رأيت أثر أعمال الأستاذ إبراهيم عبد المجيد عندما ذهبت إلى السعودية وتحديدًا إلى بلد تسمى "ينبـــُع"، وشاءت الظروف أن أحضر ملتقًى أدبيًّا هناك، وعندما عرف أبناء الجامعة أنني سكندري حدثوني عن رواية "البلدة الأخرى" للأستاذ إبراهيم عبد المجيد، وأحدهم كان ينقده وكان يقول إن الرواية تعني أن الأستاذ إبراهيم عبد المجيد اعتبر السعودية بلدة تقع على الساحل الآخر من السماء الأخرى! وإنه اعتبرها بلدة تقع خارج نطاق التاريخ دون أن يكون لها مكان ولا زمان، فعلقت على ذلك بأن من يقول ذلك لا يكون قد قرأ الرواية حقًّا. وقد تعودنا أن نهمل كُتابنا دون أن نمنحهم حقهم، وتعودنا أن نتحدث كثيرا عن الكُتاب الأجانب ونترك كُتابنا.

وللأستاذ إبراهيم عبد المجيد ملامح خاصة كروائي، وهو الوحيد الذي أرَّخ لما يسمى بالرواية السيكولوجية وخاصة في روايته "البلدة الأخرى" الذي اعترف هو نفسه أنها تلخص الروايات الأربع السابقة عليها لأنها تبسط بجلاء أهم ملامح الرواية الصوتية، وعليه، أتمنى أن يركز الأستاذ إبراهيم عبد المجيد على هذه الرواية تحديدًا، وقد كتبت عنها بقلم متواضع من أكثر من أربع سنوات في مجلة سكندرية عنوانها "الكلمة

المعاصرة"، وأؤكد أن هذه الرواية قد أدهشتنا جميعًا، ويبدو أن كاتبها كان في أفضل حالاته أثناء تأليفها، ولا أنسى أبدًا أول جملة فيها "انفتح باب الطائرة فرأيت الصمت"، وهي جملة مركزة تضيء للقارئ طريقه ليتبين معاني الرواية.

**إبراهيم عبد المجيد:**

بالنسبة لرواية "البلدة الأخرى"، فهي ليست تلخيصًا للروايات الأربع التي سبقتها، ولكنها الوجه الآخر للروايات الأربع السابقة عليها "العشق والدم" و"المسافات" و"صياد اليمام" و"بيت الياسمين" والتي تتقصى وتستنبط الحياة المصرية في السبعينيات والتي تجسد الاغتراب داخل الوطن، أما "البلدة الأخرى" فهي الاغتراب خارج الوطن، وبصراحة، فأنا مفتون ومعجون بحالة الاغتراب لأسباب تخص حياتي ودراستي، فقد عشت في كرموز في بداية حياتي بين غرباء أراهم يوميـــًا على ترعة المحمودية، لكنهم غرباء لا يعطون إحساسا بالغربة لأن حكاياتهم جميلة. وهذه المنطقة كانت فقيرة، فعندما قرأت عن الماركسية عندما التحقت بالجامعة وفهمت الاغتراب بمعنى اغتراب الطبقات العاملة مع تقدم الصناعة ومع المجتمع الرأسمالي، ثم درست الوجودية وفتنت بفكرة القذف إلى هذا العالم حيث وُجدنا دون أن تكون لنا إرادة الوجود ولا إرادة الحياة ونمضي بين الوجود والعدم في حياة كلها اغتراب يعيش فيها الإنسان مع آخر هو الجحيم وغير ذلك من الأفكار التي تحملها الوجودية وأثرت فيّ تأثيرًا كبيرًا، وقد حاول جان بول سارتر أن يزاوج بين الماركسية وبين الوجودية تأثرنا به كشباب إلا أنني كنت معترضا عن فكرته عن الأدب الملتزم. وعلى أي حال، فإن فكرة الاغتراب فكرة أساسية في أعمالي، فإن إحساسي دائمًا يكون بالاغتراب حتى وأنا داخل مكان أحبه لأنني مقتنع بأن المكان دائمًا ما يكون أكبر من الناس، وعندي قصص قصيرة تعبر بشكل أسهل وأسرع عن هذه الفكرة مثل قصة اسمها "الشجر والعصافير" وغيرها، وعندما ذهبت إلى السعودية وجدت أنني ذاهب من اغتراب إلى اغتراب آخر، إذ أحسست أنني أعيش في سجن كبير، وعندما كتبت في روايتي "البلدة الأخرى": "انفتح باب الطائرة فرأيت الصمت" كنت أشعر أن الصمت يحيط بي ونقلت هذا الإحساس إلى الرواية التي لففتها بالصمت مثل صمت الرمال في الصحراء، وحتى العلاقات بين الناس هناك كان يلفها الصمت وإذا تحدثوا ذكروا موضوعات لا أحبها مثل المال والثروات، ومن هنا قدمت الوجه الآخر للاغتراب، وأؤكد أن أعمالي كلها بها نوع من الاغتراب، ولا أتعمد كتابته ولكنني أحس به دائمًا، فهو موضوع عشته ودرسته وعندما بدأت أعي الحياة حدثت النكسة فتعمق شعوري بالاغتراب لأن كل ما آمنت به من قِيم انهار، وعندما انتصرنا في أكتوبر تحققت أحلام الاستعمار بعد الانتصار والتي لم تتحقق ونحن تحت نير الهزيمة وهو شيء غريب جدًّا مما زاد من إحساسي بالاغتراب الذي أعاني منه دائما. وفي نهاية رواية "البلدة الأخرى" سأل أحدهم البطل ما إذا كان سيرجع مصر فأجابه بالإيجاب فسأله ثانية ما إذا كان سيعود إلى السعودية فأجابه بالنفي فسأله مرة أخيرة ما إذا كان سيمكث في مصر فأجابه بالنفي، وهنا يبرز معنى "البلدة الأخرى" أو معنى البحث عن بلد ثالث، عن يوتوبيا غير موجودة، وقديمًا كانت هناك مدينة أفلاطون الفاضلة، وفي العصر الحديث أصبح النفط يوتوبيا، إلا أن يوتوبيا القرن العشرين كانت الاتحاد السوفيتي والصين، وكانت هناك رحلات كثيرة من مختلف كُتاب أوروبا إلى هذه المنطقة من العالم

للتعرف على اليوتوبيا الجديدة بدءاً من سوزان سونتاج وإدموند ويلسون وحتى أندريه جيد وغيرهم الكثيرين ممن زاروا الاتحاد السوفيتي على وجه التحديد باعتبارها الكيان اليوتوبي الجديد، وحتى الممثلة شيرلي ماكلين زارت الصين وكتبت عنها باعتبارها اليوتوبيا الجديدة. أما النفط والذي بدأت موجته في الاشتداد منذ السبعينيات وهو يوتوبيا كاذبة، ونظرتي لها كما قال دانتي في الكوميديا الإلهية متحدثـــاً عن باب الجحيم: "أيها الداخل إلى هذا المكان تخلَّ عن كل أمل" وهذا رأي شخصي قد يختلف معي فيه الكثيرون، وعلى الرغم من أنها فكرة مقلقة روحيـــاً إلى حد ما، إلا أنها فكرة ممتعة أدبيـــاً.

**متحدثة لم تذكر اسمها:**

ذكر الأستاذ إبراهيم عبد المجيد أنه سوف يكتب عن الإسكندرية السعودية، فما المقصود بذلك؟ وحول الاغتراب الذي شعر به في السعودية هي عدم رؤيته للبحر!

**إبراهيم عبد المجيد:**

أقصد بالإسكندرية السعودية عادات وفدت إلى الإسكندرية و لم تكن موجودة ولا متأصلة فيها، و لم يعد التسامح الذي كان أحد السمات الرئيسية لهذه المدينة موجودًا على الإطلاق، والسبب في ذلك هو هجوم عادات صحراوية صنفت البشر، على الرغم من أن الإسكندرية اكتسبت طوال عمرها قوتها من تنوعها، وقد أنشأ البطالمة الإسكندرية، وكان يسكنها في بداية نشأتها ثلاثمائة ألف حر، كل واحد منهم كان عنده على الأقل عبد في خدمته، بمعنى أن تعدادها وقت إنشائها كان يتخطى ستمائة ألف نسمة، وعندما غزا نابليون بونابرت مصر ودخل القاهرة عن طريق الإسكندرية، كان تعدادها في هذا الوقت ستة آلاف نسمة، والتفسير المنطقي لاختفاء هذا العدد الضخم من البشر هو موجات الزلازل والحروب والاضطهاد الذي حدث من الرومان ضد المسيحيين ومن الإهمال في العصر الإسلامي، فالإسكندرية قد أُهملت تمامًا في العصر الإسلامي، وهذا الإهمال يرجع إلى أن العرب والمسلمين لم يكونوا يحبون الثغور أي الموانئ، ولكن يحبون الصحراء أو المدن المغلقة مثل القاهرة التي أنشأوها، ومن القلائل الذين اهتموا بالمجيء إلى الثغر السكندري هم أولياء الله الصالحين مثل أبي العباس المرسي وسيدي جابر وسيدي العدوي وغيرهم ممن جاءوا من المغرب ومن الأندلس، وكانت توجد في المدينة حركة تصوف إسلامي لا علاقة لها بالعالم، فقد خرج العالم من الإسكندرية بعد العصر الروماني وعاد مع محمد علي عندما تم حفر ترعة المحمودية، ثم عاد اليونانيون والإيطاليون وغيرهم وكان لكل من هذه الجنسيات جالية منغلقة إلى حد ما على نفسها، إلا أن الجنسيات كانت تتعايش مع بعضها البعض في ظل جو عميق من التسامح وكانت هناك صحافة حرة قائمة على حوار حر، وكان كل شخص يهتم بشئونه دون أن يتدخل في شئون الآخرين ودون أن يتصور أنه رسول العناية الإلهية الذي وجب عليه أن يفرض أفكاره على الناس بالقوة، وكان المبدأ السائد هو أن الدين لله والوطن للجميع، و لم يكن مطروحًا أبدا أن يُسأل شخص ما إذا كان مسلمًا أو مسيحيـــاً، وحتى الآن يتذكر اليونانيون وغيرهم الإسكندرية بكل الخير لأنهم عاشوا فيها وكأنهم مصريون، وهناك جمعيات في العالم من أحباء الإسكندرية أسسها أشخاص غادروا الحياة وما زال أولادهم وأحفادهم

يرعونها بنفس الحب والاهتمام. وقد تغير كل ذلك بعد أن وفدت إلينا الأفكار الوهابية السعودية ولا علاقة لمصر بهذه الأفكار، والسبب بسيط وهو أن المصريين هم الذين اكتشفوا الدين، وهم الذين كان ملكهم إخناتون وكانت عقيدتهم التوحيد، فلم نكن على الإطلاق في حاجة إلى أحد من السعودية يأتي ليزايد علينا، فمصر هي أصل التدين في العالم كله، والمشكلة أن تلك الأفكار الواردة إلينا عارية من الصحة، والمفكرون الدينيون الحقيقيون في مصر الذين قد نختلف أو نتفق معهم لا أحد يعرفهم في الشارع، لكن المواطن البسيط يعرف البواب الذي يترك باب عمارته ليؤذن ويؤم الصلاة ويعظ في المسجد ثم يعود إلى وظيفته، فهذا هو الواعظ والعالم والعارف بالنسبة له، ولنتصور حجم المشكلة عندما يتشبع المواطن البسيط بأفكار شديدة التخلف نتيجة لسيطرة هؤلاء الجهلاء على بعض المنابر؟ ولا أعرف كيف يُسمح بحدوث ذلك؟ فلم يكن ذلك يحدث في مصر أبدًا ولا في الإسكندرية على وجه التحديد، فلا يمكن أن نختزل الدين في مظاهر وملابس، فهذه كلها مظاهر غير مصرية، وإذا كان كل شخص حر في اعتقاده فعليه أيضا أن يترك الآخر حرًّا في اعتقاده، والملاحظ أن هناك انصرافًا تامًّا للعبادات دون أن تكون هناك معاملات، وللأسف أن الغالبية على هذه الشاكلة، ولو كان هناك حديث عن المعاملات، لكان هناك حديث عن العدالة وعن المعتقلات وعن إهانة المواطنين في أقسام الشرطة وعن التعليم الفاسد وعن تدهور النظام الصحي وتردي المستشفيات، ولكن للأسف الحديث كله عن الحجاب والسُترة وغير ذلك من المظاهر، وكل هذه العبادات نحن نعرفها جيدًا فأين المعاملات التي نحتاجها في حياتنا اليومية والتي تخص ضمير المجتمع كله ولا تخص فردًا عن آخر.

**نادية إبراهيم:**

سؤالي يأتي في إطار تركيز الأستاذ إبراهيم عبد المجيد على قيمة التسامح: هل يرى الأستاذ إبراهيم عبد المجيد أننا ننفرد بهذا التسامح، أم أنه جزء مما هو واقع حولنا في العالم كله؟ إن ما يدور في العالم كله من حولنا يؤكد أن العالم بأسره فقد هذه القيمة كاملا وليست مصر فقط، إن هذه منظومة عامة تسيطر على العالم كله.

كذلك، في إطار الحديث عن الاغتراب، هل الإحساس بالاغتراب مسألة طبيعية متأصلة في نفس الأستاذ إبراهيم عبد المجيد أيــًّا كان المكان الذي سيذهب إليه وفي أي زمان سيستمر هذا الشعور؟ هل هو شعور نابع من المكان المحيط به لتدهور الأوضاع فقط، بمعنى أنه إذا تحسنت الحالة، هل سيفقد شعور الاغتراب هذا أم سيستمر في الشعور به؟

أيضا، هل يرى الأستاذ إبراهيم عبد المجيد أنه لا يوجد أي أمل في أي حالة مستقبلية في ظل الحالة التي وصلنا إليها الآن؟ ولا أريد أن أفصل الأدب عن السياسة، فقد ابتعد فترة عن السياسة وأعتقد أن هذا خطأ لأن الأدب امتزج بالسياسة والسياسة انطبعت على الأدب، فهل هذا معناه أنه مع حالة الاغتراب ومع حالة الرغبة في فصل الأدب عن السياسة لن تكون هناك أية كتابات أخرى لرصد الحالة الراهنة واستشراف ما هو آتٍ أم سنظل نسير في هذا المنحدر دون أمل؟

**إبراهيم عبد المجيد:**

بالنسبة للتسامح، أوافق على أن التسامح مصاب بالعقم، وقد عانيت من عدم التسامح كثيرًا عندما كنت في أوروبا حيث توجد نظرة سلبية للعرب والمسلمين، لكن هناك قوانين تحمي الناس، وذات مرة ذهبت إلى بنك في باريس يختلف عن البنك الذي أتعامل معه لكي أطلب أموالاً، فرفضت الموظفة مساعدتي فقلت لها "هل تمارسين التمييز العنصري؟" فخافت ولبت لي الطلب على الفور، ولو حدث مثل هذا الموقف في مصر لما كان هذا الموقف موجودًا لأنه لا رادع ولا عقاب. أما على مستوى السياسة، فهناك بالفعل موجة عنصرية، فإدارة بوش إدارة عنصرية محافظة تدعي أنها تستقي الأفكار من الله. لكن المشكلة التي أراها هي أننا قد فقدنا تسامحنا كمصريين منذ زمن طويل، وقد أصابنا ذلك أكثر مما أصاب الأجانب، وقد أضيرت بلادنا من ذلك وحدث خراب للبنية الروحية للمصريين لأن ذلك غريب وطارئ علينا، فالخراب الحضاري الذي ينجم عن مناخ عدم التسامح يصيبنا أكثر مما يصيب الآخر مع عدم وجود قوانين تحمي هذا الآخر، وإذا كنا كمسلمين نمثل في مصر أغلبية عددية، فإن المسئولية تقع على عاتقنا نحن لتصحيح المفاهيم وتوضيح الصورة.

أما عن مسألة الاغتراب، فأنا لا أشعر به وأنا سعيد مثلا وسط الحاضرين الآن، إلا أنني أتحدث عن حالات تنتاب الكاتب لحظة الكتابة، وأنا لست ملك نفسي كلية فيما يخص الكتابة، ولكن جزء كبير منها ملك الله سبحانه وتعالى ومن هنا فهي تأتي بإلهام إلى حد كبير، وقد حدث أن فوجئت واندهشت عندما أعدت قراءة أعمال كثيرة لي شعرت أنها كتبت نفسها، وعندما أكتب أكون في هذه الحالة بدون قصد حقيقي، فهي نوع من انفعال الكاتب وناتجة عن ترسبات في ذاكرته نتيجة لكثرة التفكير فيها قديمـــاً.

أما عن السؤال الخاص بالأمل، فأنا أؤكد أن الأمل دائمًا موجود، وأنا أكتب في جريدة "المصري اليوم" مقالاً صغيرًا كل يوم سبت، وقد ذكرت مؤخرًا أنني أساند وصول الإخوان إلى الحكم لأن ذلك سيجعلهم في النور وسنعرف ماذا يفعلون، كما أنني لست غاضبًا من أحداث البلطجة التي حدثت لأن هذا مجتمع يعبر عن نفسه بشكل حقيقي بعد أن كان يخفي مشكلاته، وهذا سيساعد على ظهور المشكلات على السطح ومن هنا تأتي القدرة على حلها، وبدلا من أن يظهر غضب المجتمع كبركان غير منظم، فإنه يجب أن يظهر في شكل طبيعي وليدخل الجميع في جدل وخلافات حتى يستطيع المجتمع أن يبني نفسه بناءً حقيقيـــاً لأنه ليست هناك حرية بدون خسائر. وقد كانت تعداد مصر أيام بونابرت مليوني نسمة، ووصلنا الآن إلى أكثر من سبعين مليون نسمة، والأمل دومًا موجود.

**متحدثة لم تذكر اسمها:**

أعجبني أن يقول الأستاذ إبراهيم عبد المجيد أنه قال إن انطلاقه إلى العمل الإبداعي كان ناتجـــاً عن إحساسه بأنه سينجز فيه أكثر من العمل السياسي، وأعتقد أن العمل الإبداعي يؤدي إلى نتائج سياسية بشكل أجمل.

أعلق على مسألة الإلهام، وأقول إن الأستاذ إبراهيم عبد المجيد ذكر أنه مكث في دار الكتب ست سنوات يعمل لكي يؤلف "لا أحد ينام في الإسكندرية"، فالمسألة ترتبط أيضا بالعمل الدؤوب المخلص وليست مجرد إلهام.

أود أن أذكر أيضا أنني قرأت رباعية داريل وقرأت روايات الأستاذ إبراهيم عبد المجيد، وأؤكد على أن الإسكندرية في روايات الكاتب المصري هي الإسكندرية التي نعرفها، أما الأشخاص التي يقدمها داريل في رباعيته فهم أناس لا نعرفهم، ولكن ذلك هو ما يتخيله الأجانب عن الإسكندرية، ولا بد أن يفوت الكثير من الوقت حتى نتخطاها، ولابد من أن نجتهد في إبراز صورتنا الحقيقية، وبالطبع في الترجمات التي تصدر للأستاذ إبراهيم عبد المجيد وسيلة من الوسائل التي تبرز الصورة الحقيقية للإسكندرية، ونتمنى أن نلقي الضوء على الأدب المقارن الذي يبرز الأدب المصري في هذا الصدد في مواجهة تخيلات داريل ومن هم مثله من الكُتاب الغربيين. وأخيرا أسأل الأستاذ إبراهيم عبد المجيد لماذا سافر أصلا إلى السعودية؟

**إبراهيم عبد المجيد:**

أود أن أوضح مسألة العلاقة بين السياسة والأدب، وأن المقصود هو الانتماء لتنظيم سياسي معين، وهي مشكلة كل الفنانين في العالم الذين انتموا إلى تنظيمات، إذ أن الانتماء إلى أي تنظيم يغير في لغة الكتابة دون أن يغير في الأهداف أو المعاني، فتكون اللغة مباشرة وغير فنية، وقد كان مايكوفسكي مثلاً شاعرًا وينتمي إلى الحزب الشيوعي السوفيتي وانتحر، والكاتب ألكسندر بلوك مات منتحرًا بعد مرض استمر لسنوات بعد معاصرته لأحداث الثورة البلشفية لأنه كان ينتمي إلى جماعة المستقبليين التي تعتنق أفكارًا مختلفة عن مبادئ الثورة وغيرهما، فدائما ما تفسد السياسة فن الكتابة الأدبية نفسه وتجعل الكتابة تتحول إلى مواعظ وخطب أدبية، لكن هذا يختلف عن الموضوعات السياسة التي قد أتناولها أو لا أتناولها في أعمالي، وكما رويت عن "بيت الياسمين" التي تحكي قصة الشخص الذي يقوم بقيادة مظاهرات التأييد للرئيس السادات، وعلى الرغم من أنها فكرة فانتازيا فإنها فكرة سياسية بالأساس، وهذا يختلف عن فكرة التخلص من وطأة الأفكار المباشرة على فن الكتابة.

أما عن سؤال سبب سفري إلى السعودية، أقول إن ما دفعني للسفر هو الذي دفع المصريين جميعـــًا للسفر، إذ أنني عندما انتقلت للعيش من الإسكندرية إلى القاهرة، قمت بتأجير شقة مفروشة، ولكنها تحولت بعد قليل لمقهى حيث كنت أسكن بمفردي جعلت شقتي المفروشة مزارًا شبه يومي لكل أصدقائي، ووجدت أن وقتي مهدر بهذه الزيارات التي تعوقني عن الكتابة وعن الحياة المستقرة والهادئة، فقررت أن أشتري شقة خاصة بي لأتزوج بها وأستقل بحياتي وأنعم بالاستقرار، وهذه الفكرة هي التي جعلتني أسافر لأجمع أموالاً تكفي لتحقيق هذا الغرض، إلا أن المناخ هناك لم يشجعني على الاستقرار، فجمعت مبلغًا يعادل حوالي تسعة آلاف دولار ظننتها وقتها ثروة كبيرة خصوصًا أن الريال السعودي في هذا الوقت كان يساوي ريالاً مصريـــًا، فعدت على الفور إلى مصر وقمت بتأجير شقة إيجار في إمبابة ومكثت بها للتأليف، وأذكر أنه في ذلك الوقت قابلني الزميل

الأستاذ صنع الله إبراهيم وقال لي: "أنت خبيث، عدت بسرعة لكي تؤلف"، فضحكت وقلت له: "وهل إذا كنت مكثت في الغربة لأجمع المزيد من الأموال سيكون ذلك أفضل؟" فقال لي: "نعم !!".

**جابر عصفور:**

تعليقـــاً على السؤال الخاص بالذهاب إلى السعودية، أعتقد أنه سؤال مهم، فقد تعود الأدب المصري والأدب العربي بشكل عام أن يذهب الأديب إلى أوروبا حيث الحضارة، ويكتب توفيق الحكيم "عصفور من الشرق" ويكتب فتحي غانم "الساخن والبارد" وغيرهما، فالأدب العربي وأدباؤه كانوا دائمًا ما يتطلعون إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط باعتبارها مركز الحضارة ومنطقة للتقدم حيث إن من يذهب إليها يعود إلى بلده محملا بالعلم. وقد انقطع هذا التقليد منذ فترة السبعينيات مع الأزمة الاقتصادية الحادة، ونتيجة لحرب أكتوبر والطفرة الهائلة للنفط في هذه المنطقة جعلها تتحول إلى منطقة مسرفة الغنى بل فاحشة الغنى، وتحولت بلاد الصمود مثل سوريا ومصر إلى بلاد تعاني من أزمات فقر فظيع، وكان من الطبيعي جدًّا أن يفكر المثقفون والمبدعون والموظفون وغيرهم ليس في الهجرة إلى الشمال مثل رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب الصالح، ولكن الهجرة إلى الخليج حيث بلاد النفط. وعلى إثر ذلك، بزغت ظاهرة جديدة وجميلة في البلاد العربية، فقد كتب الأستاذ إبراهيم عبد المجيد "البلدة الأخرى" وكتبت الأستاذة حنان الشيخ "مسك الغزال" وكتب محمد المنسي قنديل "بيع نفس بشرية" وكتب جمال الغيطاني "البصائر في المصائر" وغير ذلك من الكُتاب الذين كتبوا عن نقيض الهجرة إلى الشمال، الهجرة إلى الجنوب وإلى بلاد النفط. وقد ذهب هؤلاء كلهم إلى بلاد النفط على اعتبار أن هذه بلادنا والتي تربينا في المدارس على ذلك:

بلاد العرب أوطاني  من الشام لبغداد

وعندما ذهبوا فوجئوا بأن هذه لم تكن أبدًا أوطانهم، ووجدوا أنهم يعامَلون كمواطنين من الدرجة الرابعة والخامسة والسادسة والعاشرة، فكان لابد من أن يكتبوا عن هذا الواقع الأليم الذي اضطر إليه المواطن المصري والسوري واللبناني نتيجة الأزمات الاقتصادية التي عانى منها والتي لا يزال يعاني منها للأسف. ولذلك، لا يوجد نقد للحياة غير الإنسانية في هذه البلدان مثلما يوجد في الروايات التي كُتبت عن هذه البلاد، فمثلا في رواية "البلدة الأخرى"، يذكر الكاتب أنه رأى الطائرة الأمريكية واقفة في المطار فور هبوطه إليه، والطائرة الأمريكية هنا ترمز إلى السيطرة الأمريكية على المنطقة، وأن هذه السعودية بأكملها ليست أكثر من مستعمرة أمريكية تتحكم فيها هذه الطائرة الأمريكية، وعندما ذهب هؤلاء الكُتاب إلى هذه البلاد وجدوا أنها بلاد مستَعمَرة، ومع ذلك تعامل المصريين وغيرهم كمواطنين من الدرجة العاشرة، فكان لابد من أن يتمردوا ويبدعوا ويكتبوا فتخرج المرارة في هيئة كتابة. ولحسن الحظ، فإن هذه الروايات التي ذكرت بعضها لو تأملناها، فسوف نجد نوعـــاً من الاحتجاج الهائل ليس فقط على الأسباب التي تؤدي إلى الاغتراب في بلادنا، ولكن أيضا على الأسباب التي تؤدي إلى المعاملة غير الإنسانية في البلاد التي ذهبنا إليها ونتصور أنها بلداننا ولكن نفاجأ بأنها بلدان أخرى، فالبلدة الأخرى هي البلد الغريب عني، ولهذا السبب كانت التجربة موفقة جدًّا في اختيار العنوان، فقد اختارت الدكتورة فاطمة موسى عنوان "The other Place"، لأن المسألة ليست حرفيـــاً بلدًا آخر أنتمي إليه،

ولكن مكان آخر لا أنتمي إليه مُعادٍ لي ولكل ما أمثله وأنطوي عليه. ولذلك، فإنه من يقرأ "البلدة الأخرى" جيدًا يجد أن البطل كان كالمستجير من الرمضاء بالنار، فقد خرج من مصر نتيجة أزمته ونتيجة الأزمات الاقتصادية والسياسية ... إلخ، فيسافر إلى هذه البلدة الأخرى طمعـــًا في أن يحل بعض هذه الأزمة، لكن هذه الأزمة لا تُحل ويقع في أزمة أخرى، بل ويكتشف أنه ليس هناك امتداد لوطن عربي، ولكن هناك امتداد لجحيم جديد، وهو جحيم أشبه بالسجن، ومن يقرأ الرواية ويستعيدها، يجد أنها رواية سجن بامتياز، فالأماكن مغلقة والبطل دائمـــًا يتحرك في غرف مغلقة كأنه محبوس، والغريب أن البطل لا يخرج من هذا الحبس إلا عندما يرجع إلى بلده. وهذا مختلف مثلاً عن من يقرأ "لا أحد ينام في الإسكندرية" حيث الخلاء والبراح والبطل والذي يصطحب البطلة لركوب قارب على ترعة المحمودية، فهنا يتجسد البراح والانطلاق وحركة سكة حديد أيضا، على عكس – كما قلنا – رواية "البلدة الأخرى" حيث السجن القاتل والقاتم وكأن في تصوير الكاتب للمكان بهذه الطريقة نوع من الاحتجاج على هذا المكان البشع الذي ينتسب إلى العروبة لكنه لا يمت إلى العروبة إلا من حيث هو بلدة أخرى.

وهناك نقطة أخرى أود أن أوضحها، أن كلمة التسامح هي اختراع سكندري، ولا أعرف كيف لا يعرف السكندريون هذه الحقيقة، فهذه الكلمة هي ترجمة للكلمة الإنجليزية Toleration أو Tolerance، وهذه الكلمة تُرجمت لأول مرة في مدينة الإسكندرية في مجلة عنوانها "الجامعة" كان يصدرها فرح أنطون الذي دخل في مناظرة قوية جدًّا مع الإمام محمد عبده ومع تلميذه محمد رشيد رضا الذي كان يصدر من القاهرة مجلة "المنار"، فكتب فرح أنطون عن الدولة المدنية التي لا تقوم على أساس من دين ولكن تقوم على أساس الحقوق الدستورية والقانونية للمواطن، وكان من الطبيعي أن يترجم فرح أنطون مفهوم الـــToleration من مفكريه الغربيين الذين تحدثوا عنه، وأثناء محاولته لنقل الكلمة إلى العربية اختار كلمة "التساهل"، وشرح هذه الكلمة في عدد كامل من أعداد مجلة "الجامعة"، وأوضح أن التساهل يعني أن يتعامل المسلم مع المسيحي على نفس القدر مع المساواة وعلى أساس من التكافؤ، وأن يتعامل مع اليهودي بالمنطق نفسه، وأنه لا ينبغي أن يتم التمييز بين المواطنين لا على أساس من دين أو من عِرق أو من جنس أو حتى من ثروة، وأن هذا هو التسامح، وأنه مرهون بالدولة المدنية والتي إذا وُجدت وُجد معها التسامح، ويصبح من حق كل مواطن أن يتقدم ليكون رئيسًا لهذه الدولة، وعلى هذا الأساس لا يوجد فرق بين مواطن ومواطن، وإذا كانت شمس الله – فيما يقول فرح أنطون – تشرق على الفاجر وعلى البار وعلى الطيب وعلى الشرير فينبغي أن تشرق على أبناء الوطن جميعـــًا بحيث يصبح من حق كل واحد من هؤلاء أن يترشح ليكون رئيس هذه الحكومة. وقد قال فرح أنطون هذا الكلام في مطلع القرن العشرين في عام 1903 على وجه التحديد، وفي ذلك الوقت كانت هناك خمس مجلات نسائية على الأقل تصدر من الإسكندرية، مثل مجلة "الفتاة" لهند نوفل ومجلة "مرآة الجليس" لآفي لينو وغيرها من المجلات التي تؤكد وجود حركة نسائية قوية ومتحررة في مدينة الإسكندرية، وأتساءل أين ذهب هذا التساهل الذي تحدث عنه فرح أنطون، وأين ذهبت هذه المجلات النسائية الكثيرة وأين ذهبت حركة تحرير المرأة التي كانت الإسكندرية إحدى مراكزها الرئيسية؟ كل ذلك انتهى ولا نعرف منذ متى، لكن بالتأكيد أن الانحدار بدأ من

السبعينيات ومع دخول نوع جديد من الإسلام ليس هو إسلام النهر ولا إسلام البحر ولكن للأسف هو إسلام الصحراء الذي سعى إلى تخريب كل شيء في هذا البلد، وفرض غباره الكثيف عليه وتشويه منجزاته الحضارية.

**كمال إسحاق (مهندس معماري):**

ما رؤية الأستاذ إبراهيم عبد المجيد لإعادة التسامح الديني مرة أخرى، بما أن هذه القضية موجودة ومتغلغلة في أعماقنا وأصبحت الآن من القضايا الأساسية المطروحة على الساحة، فنريد أن نعرف رؤية عميقة لإيجاد هذا التسامح الديني.

**إبراهيم عبد المجيد:**

هذا موضوع كبير وحله ليس كلمات، فنحن نحتاج إلى برنامج وخطة وإعادة تأهيل المدارس والتعليم وتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

**السيد عبد الرحمن (مهندس زراعي):**

إن التدخل الأجنبي هو الذي يفسد كل شيء بين المسيحي والمسلم، وقد عاصرت في قنا التسامح والتكافل الاجتماعي بأسمى معانيه في قنا، فقد كانت الكنيسة ترسل دفعات من الخبز الطازج إلى الفقراء جميعًا دون أن تسأل عن ديانتهم وكان ذلك في السبعينيات. ولا يستطيع كل الناس أن يفهموا الصورة التي يدخل بها الأجنبي إلى مصر، وأنا أستطيع أن أستوعب ذلك لأنني عشت في الخارج لسنوات كثيرة. وتعليقًا على أحداث محرم بك والهجوم على الكنيسة أرى أن به دسًّا أجنبيًّا، فلا فرق أبدًا بين المسلمين والمسيحيين في مصر، وإذا وُجد فرق فهو دخيل ومستحدث لأغراض بعيدة عن مصلحة الوطن.

**أيمن محمود (طالب):**

تعليقـــًا على موضوع التسامح، أقول إن المقارنة بين فترة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات وبين الآن بها الكثير من الجدل، ففي فترة الخمسينيات كان مصدر القوة موجه إلى الثورة وقيامها والإيمان بمبادئها، وفترة الستينيات غلب عليها طابع الهزيمة بعد النكسة التي أثرت في جيل بأكمله، وقد قرأنا ما كتبه أساتذة كبار في هذا المجال مثل الأستاذ أنيس منصور ما حدث من اعتزال الأستاذ صلاح جاهين، أما فترة السبعينيات فكانت القوى بالكامل موجهة لتحرير سيناء. بالتالي، فقد كان الموضوع دائمًا وجود هدف قومي عند الوطن بأكمله يلتف جميع المصريون حوله لتحقيقه.

المسألة الثانية، أنه لم تكن هناك مشكلات متغلغلة مثل الفقر وغلاء الأسعار والبطالة والتي ارتفعت معدلاتها، والتي شكلت معا عدوًّا جديدًا، وهذا العدو الجديد هو نحن أنفسنا مما جعلنا نوجه غضبنا لصدورنا فأصبحنا أعداء أنفسنا. ولابد من أن نلقي الضوء تحديدًا على تدهور التعليم والذي تجرد الآن من كل قيمة

وأصبح مجرد معلومات سطحية يتم حشرها في عقول التلاميذ، فأثر ذلك على رؤيتهم للأمور كلها فأصبحت رؤية مسطحة مفرغة من المعنى، وأصبحت نظرتنا للمسيحي أو للمسلم على أنه عدو يجب القضاء عليه. وقد أدى كل ذلك إلى حالة عدم التسامح التي نتحدث عنها.

كذلك، أختلف مع الأستاذ إبراهيم عبد المجيد حول مسألة أن السياسة تجعل الألفاظ في الأدب مباشرة، فقد كان جول بول سارتر يعمل في السياسة وكان يخرج على رأس مظاهرات، إذن، فالعلاقة بين الأدب والسياسة وأيضا السينما علاقة قديمة تعود إلى عصر أفلام نجيب محفوظ، فهي لا تؤدي إلى أن تكون الألفاظ مباشرة أو أي شيء من هذا القبيل.

أيضا، أتمنى أن يلقي الدكتور جابر عصفور المزيد من الضوء على مسألة الاغتراب والتي عرضها في عدة مقالات كتبها لمجلة "العربي" حلل في بعضها كتابات الدكتور طه حسين ورواية الطيب الصالح "موسم الهجرة إلى الشمال"، وعرض بعمق لمفهوم الاغتراب عند أبطال الروايات، وأتساءل عن سبب إحساس الأدباء الكبار دومًا باغتراب الإنسان عن ذاته وعن مجتمعه، وعن منشأ هذا الإحساس عند الكاتب تحديدًا حتى ولو لم يسافر.

**السيد سليمان:**

هناك معلومة صغيرة أود أن أضيفها، لقد كانت الإسكندرية خالية تقريبـــاً من السكان عندما جاءتها الحملة الفرنسية لأن نهر النيل كان عنيفا، وكانت الإسكندرية مطمورة بالمياه تحت فيضان شديد مما دفع معظم أهلها إلى الهروب إلى مناطق مرتفعة في العامرية ومناطق أخرى، وكانت الأوبئة شديدة في هذه الأماكن. وفي هذا الوقت، كانت الهوية المصرية على أشدها مما دفع نابليون بونابرت إلى الرحيل بحملته بعد ثلاث سنوات فقط على الرغم من أن بونابرت قد عرض على المصريين عدلاً لم يروه من قبل، حتى عندما قتل قائد الحملة كليبر على يد سليمان الحلبي، ذكر الجبرتي أن هذا الأخير قد توفرت له محاكمة عادلة من قِبَل الفرنسيين. وعندما تولى محمد علي باشا حدثت نهضة في الإسكندرية وفي مصر عمومًا، وتوفرت كادرات لم تكن موجودة في مصر على الإطلاق. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل الإنجليز واحدًا وسبعين عامًا حيث بدأت الهوية المصرية تتفتت، ولم تكن لديهم ممانعة لوجود الأجنبي، إذن، فلابد من تقسيم الهوية المصرية على مدى زمني، والتساؤل حول الإيدز الذي هاجم خلاياها في حين أن كل مجتمع ما زال له سدنة وكهنة يحمون هويته. وعندما جاء مفهوم العدل الاجتماعي مع عام 1952، لم يكن لإزالة الظلم ولكن جاء بمفهوم التحيز، وهو ما تولد عنه مفهوم الترييف الذي تحدثت عنه الأستاذ إبراهيم عبد المجيد، بمعنى تعطيل آليات المجتمع لصالح فئة بعينها، وقد أدى ذلك إلى الانشقاق في المجتمع، وأصبح الترييف مسألة يشكو منها شق من المجتمع ويساندها شق آخر يستفيد من وجودها. وقد نبع الاغتراب أصلا من عدم القدرة على التحول والتغير تبعـــاً للأوضاع الجديدة، وإذا ضربنا مثلا بميدان المنشية فسنجد أنه تحول إلى منطقة تجارية بحتة، ولم تكن هذه حالة في الماضي، ويعاني أصحاب الشقق في هذا المكان الذي كان راقيـــاً من مضايقات الأثرياء الجدد الذين يفرضون ثقافتهم على هؤلاء ويدفعونهم دفعـــاً لبيع شققهم لكي يستفيد بها هؤلاء لتحويلها إلى مخازن أو إلى مزيد من المحلات التجارية، وهذا يُعتبر أيضا وجهًا من وجوه الاغتراب.

والدول العربية التي نذكرها الآن تحولت من مجموعة من البدو كانوا يحصلون على معونة من مصر إلى دول بها آفاق من التقدم لم يحلموا بها، وتأتي الآن مصر بنسبة متأخرة عن نسبة التقدم في هذه البلدان التي استطاعت تحقيق قدر من التقدم فشلت مصر في إنجازه، فلا يجب أن ننظر بنظرة تحيز. وقد أصبحت مصر للبيع، و لم يعد فيها من يستطيع أن يحمي قـيمها، بل أصبحت الأمور الآن تسير بطريقة من يستطيع أن يحل المشكلة ليتقدم ليحلها بأية طريقة كانت، دون ضابط ولا رابط، ولا مجال هنا لاتهام الصحراء بشكل دائم، فهذا في الحقيقة اتهام لأنفسنا لأن مصر بدأت تفقد شرنقة الدفاع عن نفسها. وللأسف، عندما بدأت في الاطلاع على الوثائق الخارجية الروسية والموجودة من أيام القيصر قرأت فيها عن توافد العمالة الأجنبية على الإسكندرية والذي جعل منها شيوعية قبل روسيا ذاتها، وقد ذُهلت من هذه الحقيقة، وكانت السفينة "سكار" تدخل ميناء الإسكندرية قبل أن تذهب إلى بترسبورج لأن لينين كان موجودًا في هذا الوقت في سويسرا وفي ألمانيا، فكانت مباحث القيصر تغلق الطريق المباشر إلى روسيا، فكان لابد من أن تدخل السفينة إلى الإسكندرية أولا. إذن، فقد بدأت الهوية المصرية في التفتت منذ زمان طويل.

**إبراهيم عبد المجيد:**

لا يوجد دومًا سبب واحد لأية مشكلة، فكل مشكلة لها أسباب كثيرة، والأدب نشاط إنساني وليس نشاطـًا علميـًّا، ومن الممكن أن تفسد السياسة شخصًا ولا تفسد آخر، فلا يوجد قانون في الأدب، ومن الممكن أن يعبر أحدهم بالأدب عن حزب ما ويحول أفكار هذا الحزب إلى قصص، وآخر لا يستطيع ذلك فيترك الحزب ويتفرغ للكتابة، فهذه مسائل نسبية فلا توجد مسألة واحدة مطلقة في الأدب.

بالنسبة لمشكلة التسامح، أقول وبدون تفاصيل إننا في يوم من الأيام كنا نستمتع ببداية نهوض ديمقراطي، بدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر مع عصر الخديوي إسماعيل وانتهى في عام 1952، وكانت هناك حالة ديمقراطية حتى تحت نير الاستعمار، وجزء من نجاح الحركة الوطنية إنه حتى في إنجلترا نفسها كانت الديمقراطية الإنجليزية لا تسمح بالكثير من التجاوزات الإنجليزية في مصر، فموضوع دنشواي أدى إلى عزل اللورد كرومر، و لم يكن ذلك بسبب مصطفى كامل فقط، ولكن الحزب المعارض في إنجلترا عزله أيضا عقابـًا له على مذبحة دنشواي. والحالة الديمقراطية هي الهوية التي نبحث عنها، والمشكلة أننا في مصر بعد ثورة 1952، كل فترة تظهر لنا هوية جديدة، فمنذ عام 1952 بدأت الهوية العربية ومنذ عام 1975 بدأت الهوية الإسلامية، ولا هذه هوية صحيحة ولا تلك هوية صحيحة، إن الصحيح هو الذي ينتخبه الناس بالانتخاب الحر المباشر والذي سيساعدهم بعد فترة من التجارب على الاستقرار على الشكل الذي يريدونه. والهوية المصرية موجودة منذ زمن طويل، و لم تتفتت أبدًا، وقبل ثورة 1952 كان النضال الوطني على أشده، لكن تم ضربه كله بعد هذا التاريخ ولا يزال يُضرب حتى الآن. ولإنقاذ هذه الأمة، يجب ممارسة الديمقراطية الحقيقية التي لا تحتاج إلى تعقيد كي نفهمها بعد سبعين عامـًا من شكل الحكم الذي مارسه الاتحاد السوفيتي، إن الدولة الديكتاتورية الجبارة التي

وصلت إلى الفضاء وكانت دولة البلوريتاريا انهارت لأنها لم تمارس الديمقراطية، فالديمقراطية حل حقيقي وفعال، وهي الخيار الأخير للشعوب.

**جابر عصفور:**

بهذه الجملة البليغة أن الديمقراطية هي الخيار الأخير للشعوب، نختتم لقاءنا في منتدى الحوار.